الأمن الإنساني بزاوية الهامل وآلياته 1862–1920م

Human Security at Zawyat Al-Hamel and its Mechanisms 1862-1920

محمود بوكسيبة

جامعة محمد بوضياف المسيلة، Mahmoud.bouksiba@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/02/16 تاريخ القبول: 2020/04/17 تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص:

نظرا للسياسية الاستعمارية وما اتبعته من آليات وما وضعته من قوانين، فقد السكان بمنطقة الهامل أمنهم الروحي والنفسي والاجتماعي وكذا الثقافي والاقتصادي. ولضمان هذا الأمن الإنساني الذي حرم منه السكان أسس سي محمد بن بلقاسم زاويته ومن خلالها وبفضل مشايخها تم تحقيق الهدف الذي كان يصبوا إليه الشيخ المؤسس.

كلمات مفتاحية: الأمن، الإنساني، زاوية الهامل، آلياته.

Abstract:

In view of the colonial policy and the verses and laws that it followed, the residents of Al-Hamel region lost their spiritual, psychological, social, cultural, and economic security. In order to guarantee this human security from which the inhabitants of Si Mohamed bin Belkacem were deprived of its Zawya and through it, and thanks to our old man, the goal to which the founding sheikh was aimed was achieved.

Keywords: Human; Security; Zawyat Al-Hamel, Mechanisms.

1. مقدمة:

ترك الاستعمار الفرنسي وآلياته وقوانينه أثارا كارثية على الأمن العام في منطقة الهامل حيث فقد الشعب الجزائري أمنه الروحي والنفسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ولاسترجاع ذلك الأمن المفقود أو السائر في طريق الزوال، أسس الشيخ سي محمد بن بلقاسم زاويته سنة 1862، وذلك قصد وضع أسس أمن روحي وثقافي فوضع أسس الزاوية العمل التعليمي المبني أساسا على القرآن الكريم والتربية الروحية، ولتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي كما جعل من أدوار الزاوية العمل الاجتماعي ،ولتسيير هذين الدورين بكل أريحية، اعتمد الشيخ على الوقف وطور آلياته وبذلك تحقق الأمن الثقافي والاجتماعي والاقتصادي معا.

بتلك الآليات أرسى الشيخ المؤسس قواعد الأمن الاجتماعي وآلياته بالمنطقة، ولئن أصاب تلك الأدوار نقص عهد ابنته لالة زينب وكاد أن يؤدي إلى فقدان ذلك الأمن، إلا أنه بمجيء خلفائه من بعده كرسوا تلك الآليات لنفس الأبعاد التي سطرها المؤسس وحققوا إلى حد بعيد ما فقده الإنسان في المنطقة من أمن في كل النواحي رغم سياسة فرنسا وقوانينها.

2. الوضع العام بمنطقة الهامل مع الغزو الفرنسي و أبعاد تأسيس الزاوية القاسمية

1.2. الوضع العام بمنطقة الهامل مع الغزو الفرنسي للجزائر:

كان وضع منطقة الهامل الاجتماعي وقت الاستعمار الفرنسي كالوضع العام في كل الجزائر آنذاك، حيث تميز بالتردي بفعل السياسة الاستعمارية والتي كانت من نتائجها كثرة الأمراض والفقر وارتفاع عدد الوفيات وزيادة عدد اليتامى والمشردين.

كما تميزت هته الفترة بكثرة الثورات التي عانت منها المنطقة والتي صاحبها الاضطراب وانعدام الأمن الإنساني، وهو الأمر الذي عانى منه السكان كثيرا كما تميزت المنطقة كغيرها من المناطق بالفقر المدقع وبذلك فقد السكان أمنهم الاقتصادي[1].

ومن حيث التعليم عانت منطقة الهامل من قلة المدارس القرآنية الأمر الذي دفع بالسكان إلى إرسال أولادهم إلى زوايا طولقة و أولاد جلال البعيدتين أو إلى زوايا منطقة زواوة والبيبان كزاوية أحمد بن أبي داود[2] وبدأ بذلك الانهيار الروحي للسكان، فراح التعليم الفرنسي على العموم ينتشر بالمنطقة ساعية فرنسا

من ورائه إلى طمس الشخصية الجزائرية لأبناء المنطقة عن طريق منهاج تعليمي محكم[3]، وبذلك أخذ الأمن الروحي والنفسي والثقافي طريق الزوال.

أما من ناحية القضاء فالمعلوم أن فرنسا توجهت إلى القضاء منذ غزوها للجزائر وظلت القوانين تتسارع فما إن وصلنا إلى نهاية القرن19م، حتى حدث تغيير كبير في القضاء الإسلامي وتم نحره تدريجيا و أصبحت الأوامر تصدر للقضاة من جهة فرنسية محتلة وكثرت الدعاوى والقضايا المعقدة وكثر بذلك الظلم والتعسف ولم يعد القاضي إلا شكلا رمزيا[4] .

وعلى العموم ، فما إن وصلت نهاية النصف الأول من القرن 19م حتى بدأ المجتمع الجزائري بمنطقة الهامل وغيرها من مناطق الجزائر بفقدان أمنه الروحي والثقافي والاجتماعي وكذا الاقتصادي .

2.2.أبعاد تأسيس زاوية الهامل الرحمانية:

نظرا للوضع الثقافي الذي ذكرته سابقا، أسس الشيخ محمد بن أبي القاسم زاويته سنة 1862 [5] لتوفير الأمر الثقافي للمجتمع، ومن خلاله يحافظ على مقومات الشعب الثقافية وعاداته وتراثه أمام تلك الهجمة الاستعمارية الشرسة على معتقداته[6]، وركز على التعليم القرآني للمجتمع بهدف توفير الأمن الروحي والنفسي للأفراد.

وكان بعده توفير الأمن الاجتماعي هو التكفل بالوافدين وحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم وفض خصوماتهم وبذلك ضم كل شرائح المجتمع ورعايتهم وتهيئتهم للحياة العملية سواء عن طريق العلم أو عن طريق العمل الاجتماعي في بعده الإنساني [7].

ونظرا للفقر وحالة السكان فقد أسس الشيخ الزاوية وكان ضمنيا يهدف إلى مساعدة الأفراد على توفير قوتهم وتنمية الإنتاج المحلي من خلال استصلاح الأراضي الزراعية وحفر الآبار وإنشاء السدود، وبتحقيق الاكتفاء الذاتي للسكان بالمنطقة يكون قد ساهم في تنمية الاقتصاد الوطني خاصة عندما يتعلق الأمر باستثمار الزاوية لأموال اليتامى والقصر إلى حين بلوغهم سن الرشد[8].

3.2.الشيخ محمد بن أبي القاسم يرسي آليات الأمن الإنساني

1.3.2 إرساء آليات الأمن الثقافي:

لقد رأى الشيخ المؤسس للزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم ظروف المنطقة وفراغها الثقافي وبداية الانهيار القيمي وتربص فرنسا لنشر المسيحية، فأسس زاويته بالهامل سنة 1862، وكان يهدف إلى تحقيق

الأمن الروحي والنفسي والثقافي بتحقيق حقوق مشروعة للفرد وحقه في التعلم [9]، فأسس زاويته لاستقطاب أبناء المنطقة دون استثناء .

لم يفرض الشيخ المؤسس قيودا أمام كل راغب في الالتحاق بالزاوية وكان الشرط الوحيد للالتحاق بالزاوية هو حسن السيرة والسلوك و الخلو من أي شذوذ خلقي يستحيل علاجه أو من أمراض يعدي بها المتعلم المتعلمين، فأبواب الزاوية كانت مفتوحة أمام كل الجزائريين من قريب أو من بعيد ، مع التكفل بأبناء الفقراء واليتامى، كما أن تعليم الطلبة كان يتم دون مقابل ولا بشرط سن معين ولا شهادة معينة ولا مبلغ محدد[10]، وكل ذلك تشجيعا لأهل المنطقة لإرسال أولادهم للتعليم .

ثم وضع نظاما تعليميا محكما في زاويته و بدأه بوضع البناء الهيكلي وحدد المراحل التعليمية وأوقات الدراسة، واعتمد على معلمين ذوي كفاءة وعلم وأدب، ثم توجه إلى المتعلم فوضع له نظاما داخليا هادفا ومفيدا من يوم دخوله للزاوية إلى يوم خروجه[11].

ولضمان أمنه الروحي ركز الشيخ المؤسس على التربية الروحية وجعل القرآن أساس التعليم بالزاوية، ورأى في توفير الأمن النفسي وسيلة لتكوين فرد صالح يواجه به الوضع المزري فاهتم بالسلوك عبر التربية الروحية والسلوكية واعتنى بالنفس والوجدان والضمير وكل ما ينمي علاقة الفرد بربه ومجتمعه ودينه ويجعله مراقبا لعمله تواقا إلى نشر الخير[12].

ولضمان الأمن الروحي أولى عناية كبيرة بالتعليم وضبطه بمراحل وطرق ومناهج وتوقيت وعطل ، حيث وضع مرحلة التحفيظ القرآني للمبتدئين ولها مواد ومناهج خاصة، ومن تجاوزوا هذه المرحلة يدخلون في مرحلة العلوم الدينية حيث يدرسون العلوم العقلية والنقلية ويكون دور المعلم هو الشرح والتحليل [13].

تكفل الشيخ المؤسس بالتربية الروحية السليمة التي تضمن للفرد تثبيت عقيدته وتحقيق الاطمئنان النفسي و إرساء قواعد ومناهج الحياة الروحية الصحيحة والمستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والقائمة على تزكية النفس وتهذيبها وتطهيرها من كل ما يكدر صفوها من الآثام وبالتالي تحقيق الأمن الروحي والنفسي .

كما أنه ومن خلال تكفله بالتعليم وتوفير البيئة الاجتماعية الملائمة من إيواء وغذاء وعلاج فإنه هذب النفوس وعدل سلوكها وحماها من كل انحراف ، وبتلك الأعمال وفر للفرد الأمن الروحي والنفسي معا .

ولتحقيق هدفه، راعى الشيخ المؤسس في هيكلته وبنائه للزاوية ظروف الطالب، قصد إيواء الطلبة وتوفير الجو العلمي والثقافي والنفسي، فبنى بيوتا لإيواء الطلبة ومسجدا للصلاة وقاعات للتدريس وغرفا لتحفيظ القرءان وبيتا لتخزين المئونة ودورا للنظافة وفرنا ومطبخا ومخازنا ، وبذلك ساهمت هذه الهيكلة في تأدية الدور العلمي وتوفير الأمن الثقافي[14]، ويكون الشيخ المؤسس بتوفيره للمأكل والمشرب والمكتبة، يكون بذلك قد جنب الطلبة متاعب التنقل والبحث ومد اليد فتفرغوا للدراسة والبحث وطلب العلم ،وعليه فإن هذا التنظيم الداخلي والهيكلي يكون الشيخ قد انتشل أبناء المنطقة من الجهل وأيادي المبشرين والتسول ووفر الأمن الثقافي والنفسي والروحي لأبناء المنطقة .

لقد كانت نتيجة ذلك النظام الذي سارت عليه الزاوية أن استقطب الشيخ المتعلمين بالمنطقة فتزايد عددهم وبلغ في عهد الشيخ المؤسس بين 1862-1897، بين 200-300 طالب سنويا، بل ووصل إلى 400 متعلم يدرسهم أساتذة مجازون بلغ عددهم 10 أساتذة[15].

وكثير من أولئك الطلبة حفظوا كتاب الله وتخرجوا وأسسوا زوايا للعلم وآخرون واصلوا دراستهم خارج الوطن والكثير منهم تولى القضاء والإفتاء .

2.3.2 الشيخ محمد بن أبي القاسم يرسي آليات الأمن الاجتماعي:

–انتهاج المسالمة كمنهاج سياسي

التزم الشيخ المؤسس لزواية الهامل محمد بن أبي القاسم بالمسالمة والحياد الظاهري فاختارهما لنفسه ولزاويته ونأى بنفسه عن ثورة 1864 التي كانت بوسعادة مسرحا لها وساهم في تهدئة المنطقة[16] .ورغم مصاهرته للمقرانيين وعلاقته بالحداديين فإنه لم يساهم في ثورتهم سنة 1871م التي هزت تقريبا كل الجزائر، ففضل الحياد وبلغ تأثيره حتى على بوسعادة التي بقيت هادئة إدراكا منه أن الانخراط في تلك الثورة لن يجر أمام إمكانيات فرنسا إلا الدمار والخراب للعباد وللزاوية وبالتالي بخراب زاويته سيفقد الشعب المؤسسة التي تحميه وأمنه الاجتماعي[17].

–التكفل بضحايا الحروب والمسجونين:

إن موقف الشيخ المؤسس السالف الذكر لم يمنعه من استقبال اللاجئين المقرانيين والحداديين وتدريس أولادهم[18]، فبنى مساكن خاصة لأسرهم الفارة من جحيم السياسة الفرنسية فتكفل بأبنائهم و تولى تعليمهم وبذلك وفر لهم الأمن الاجتماعي[19]، كما لم يمنعه موقف المسالمة من متابعة مشاكل السكان

والتدخل لصالحهم كما حدث له سنة 1892 [20]، إذ تخل ووجه طلبه إلى الحاكم العام ملتمسا إطلاق سراح عبد الله بن إبراهيم بن بوعزيز المعتقل بكورسيكا إلا أن الحاكم العام رفض طلبه [21].

-التكفل بضحايا الحرب والمشردين

لقد كانت من نتائج سياسة فرنسا التوسعية والعسكرية وما صاحبها من إبادة ومصادرة، أن ساءت أوضاع الجزائريين وساءت حالتهم الصحية وانتشرت الأمراض[22]، وزادت المصيبة بكثرة الكوارث والمجاعات [23]، وغلت الأسعار فأصبح الشعب يئن بين قبضة الكولون و إرهاب الجيش الفرنسي والأحكام الزجرية، فكثر اليتامى والمتسولون والأرامل وضحايا الحرب وغاب التكفل الرسمي بهم وبذلك غاب الأمن الاجتماعي و أصبح غالبية الجزائريين يعيشون الفقر والحرمان والتشرد وكثر الفارون بأرواحهم واللاجئون ولم يجدوا أمامهم سوى الهجرة أو الموت جوعا أو التوجه للزوايا لما يعانوه من إبادة وقهر وتجويع[24].

آنذاك تكفل شيخ زاوية الهامل بسكان المنطقة حيث يقول فونتان بيار"ترى قرب الزاوية جمعا من الأعمار أطفلا بؤساء عراة وأمهات تظهر عليهن مظاهر الفقر وشيوخ جالسين على تل صغير، هذا هو الجو العائلي بالنسبة للأسر التي تطلب الصدقة في هذا المكان الكريم[25]".

-التكفل بالأرامل:

وفضلا عن تكفل الشيخ المؤسس بالطلبة والذي يدخل أيضا ضمن العمل على توفير الأمن الاجتماعي، فقد تكفل بالأرامل والمطلقات المقيمات بالزاوية حيث بلغ عددهم 40 امرأة وتولى الأمر بنفسه [26]، ولكن أمام زيادة عيد اليتامى والفقراء فقد أوكل الأمر إلى ابنته الوحيدة لالة زينب[27] والتي كانت تسهر على شؤونهن[28].

ومن خلال الأرامل والمطلقات اللاتي كنت قد أشرت إليهن، فقد تولى الشيخ من خلال زاويته إعالتهن من حيث الإيواء بحيث تكفلت الزاوية بمنحهن فرصة للعمل كإعداد الطعام وتحضيره مقابل راتب يعولهن أما بالنسبة لغير القادرات على العمل فقد تكفلت الزاوية برعايتهن وأما بخصوص المتواجدات خارج الزاوية وفي حال أن كن غير قادرات على العمل فقد عملت الزاوية على إرسال المساعدات إلى بيوتهن وتكون بشكل نفقات مادية وهبات في المناسبات والأعياد حسب طاقة الزاوية [29].

-التكفل باليتامى

تكفل الشيخ المؤسس للزاوية باليتامى ماديا ومعنويا، فمن حيث التكفل المادي فقد تكفل بيتيم مستفيد من إرث سواء كان منقولا أو غير منقول فإنه تولى استثماره وتنميته حتى يبلغ اليتيم أشده فيدفع له أمواله وأرباحها، وخلال مكوث اليتيم بالزاوية فالشيخ هو الذي ينفق عليه من أموال الزاوية وأحيانا من أمواله الخاصة أما في حالة افتقار اليتيم من أي مورد فإن الشيخ متكفل بالنفقة عليه وليس هذا فحسب بل يهبه ماله الخاص ليستثمر فيه وينميه ويكفي حاجة صاحبه[30].

كما تكفل الشيخ المؤسس باليتيم من حيث الرعاية إذ اعتبر نفسه بمثابة الأب الذي فقده والمرشد والمربي الفاضل، كما تولى الشيخ تأهيل الأيتام مهنيا أما عن طريق التعليم بحيث يمكن لهم بواسطته أن يتقلدوا وظائف أو العمل في أوقاف الزاوية[31].

-التكفل بالأسر الفقيرة

لم يهمل الشيخ المؤسس للزاوية الأسر الفقيرة فقد تكفل بهم و أحاطهم بالرعاية والمساعدات المادية والغداء واللباس، كما لم يستثن الشيخ المؤسس المشردين والمعوزين والمتخلفين ذهنيا والمشردين وقد خصصت لهم الزاوية ثلاث بيوت لإيوائهم مستفيدين من المأكل والملبس[32] .

-التكفل بالجانب القضائي

عمل الاستعمار الفرنسي على أحلال القضاء الفرنسي محل القضاء الإسلامي وذلك للقضاء على معالم الشخصية الجزائرية بمختلف مقوماتها وفصل الشعب الجزائري عن كل ما يربطه بماضيه أو بدينه ، فانتزعت الصلاحيات من القضاة المسلمين وتولت الزاوية القاسمية مهمة القضاء و أصبحت ملجئا للعروش لفض خلافاتهم، فتفصل في قضايا الأحوال الشخصية وقضايا الجنايات والخصومات والخلافات على الأراضي وكان يحكم فيها شيخ زاوية الهامل إما لأحد الطرفين أو بالتصالح وإذا كان الحكم ينص على تغريم أحد الطرفين فيقوم هو بنفسه بتحديد قيمة الغرامة فمن كان له حق أخده ومن لم يكن بجانبه الحكم قبله راضيا[33] .

وعليه فبتكفل الشيخ محمد بن أبي القاسم بالطلبة وبالفارين من جحيم فرنسا وبالسجناء والأرامل واليتامى والأسر الفقيرة وبالجانب القضائي، يكون الشيخ المؤسس قد وفق إلى حد بعيد في إرساء آليات الأمن الاجتماعي بالمنطقة ليسير عليها حلفاءه من بعده.

4.3.2 الشيخ محمد بن أبي القاسم يرسي آليات الأمن الاقتصادي:

أشرت في سابق حديثي إلى أن سياسة الشيخ المؤسس لزاوية الهامل قصدت الأمن النفسي والروحي والثقافي والاجتماعي للفرد، واللذان ما كان ليكون بتلك النجاعة لو لم يكن هنالك تمويل للزاوية ،فقد اعتمد الشيخ في تمويل الزاوية على الوقف بالدرجة الأولى في البداية وعلى التبرعات والصدقات والهبات وزكاة الأهالي المقيمين بالمنطقة وخارجها كما اعتمد على مداخيل أخرى تمثلت في التبرع بالمواشي و الإعانات بالمنتوجات الزراعية والحيوانية كما استفادت الزاوية من أموال الزيارات وهي ما يقدمه الزوار والمريدين عند زيارتهم للزاوية .

ولكن الشيخ محمد بن أبي القاسم ركز على الأوقاف والأراضي الزراعية التي أوقفها أهل الخير والأتباع في مناطق نفوذ الزاوية لكي يستفيد من منتوجاتها كل من بالزاوية، وهو ما يمثل مداخيل قارة و ثابتة للإنفاق على الطبقات المعوزة وسير العملية التعليمية والاجتماعية ودفع أجور المعلمين وصيانة الزاوية، وأمام سياسة فرنسا ضد الوقف منذ غزوها للجزائر ولإبطال خدمات الزوايا ، رأت فرنسا في الوقف مصدرا للعمليات الجهادية التي تقودها الطرق الصوفية فعملت على مصادرتها بقوانين مجحفة .

أدرك الشيخ أن كل تلك السياسة المجحفة تجاه الوقف ستجعل الوقف في خطر وستستولي عليه فرنسا إذ لم تكن موثقا أو موقفا، ولتجنب هذه القوانين تجاه الوقف وللمحافظة على سيرورة الزاوية لتأدية أدوارها وتحقيق الأمن الإنساني قام الشيخ بالخطوات التالية:

- لقد سالم الاستعمار الفرنسي وبفضل مسالمته تلك سكتت فرنسا عن توسعاته وانتشرت زواياه وكثر أتباعه حتى بلغت عدد زواياه عند وفاته 29 زاوية وبلغ عدد أتباعه4342 من الأتباع، وفي بوسعادة وحدها أصبح لديه 4952 من الأتباع وزادت مداخيله حيث بلغت 2500.000 فرنك فرنسي[34]، وهو مبلغ كبير جدا أثار شهية السلطات الاستعمارية وأصبح الشيخ قوة يخشونها بما لديه من صيت وثروة وأتباع.

- اعتمد على الوقف، فأصبحت الزاوية تملك على سبيل المثال 1000نخلة في توقرت لوحدها[35]، كما كانت لها أوقافا بزواوة نفسها أين سعى السكان إلى تقديم العقارات والبساتين وقفا على الزاوية [36].

- قام الشيخ المؤسس بتنويع المداخيل و ذلك بالاعتماد على مداخيل أخرى كالتبرعات والإعانات والهبات والصدقات والوعدات والزيارات حيث كانت الزاوية تستقبل 1500زائرا سنويا يقدمون النقود بسخاء والمنتوجات الفلاحية والحيوانية[37] .

- اعتمد على الزراعة، قصد الحصول على مداخيل قارة وظف أموال الوقف في شراء الأراضي واستصلاح أخرى قصد تنمية مستدامة[38]، كما اعتمد على الماشية وأصبح للزاوية مداخيل غير الوقف.

- وثق الشيخ المؤسس الأوقاف وأوقفها ، وكان هدفه من وراء ذلك أن لا تستولي عليه فرنسا أو تعبث به أيادي الورثة من بعده وتبقى في خدمة طلبة العلم والمعوزين وتستثمر في الخير لتحقيق الأمن الاقتصادي في المنطقة.

3. خلفاء الشيخ المؤسس وتكريس آليات الأمن الإنساني

لئن كان الشيخ محمد بن أبي القاسم قد أرسى آليات العمل الإنساني إلا أن خلفائه من بعده قد كرسوه حسب قدراتهم والظروف العامة المحيطة بهم .

1.3. لالة زينب وتكريس آليات الأمن الإنساني 1897–1904م:

إن الفترة التي عاشتها لالة زينب مع والدها وأعطاها صفة القداسة، بعد وفاة والدها بسنين، ظلت تستقبل الزوار وتقوم بضيافتهم فكانت الزيارات تتهاطل عليها مثلما كانت في عهد والدها الشيخ المؤسس وواصلت تقديم الورد وتعيين المقدمين[39] وبحكمتها حافظت على ثروات والدها و أوقاف اليتامى والفقراء ووصل عدد الطلبة 400 طالب فواصلت دورها في العمل الإنساني عامة ولم تبدر أموال الزاوية[40]، وذلك ما رواه شارل دوقالون الذي زار الزاوية في 1897-1899[41] و كذا بول أودال الذي زار الزاوية سنة 1899[42].

ولكن بعد خلافها مع الحاكم العسكري كروشار الذي كان رافضا لخلافتها ومؤيدا لابن عمها سي محمد بن الحاج محمد وأمام رفضها لقراراته وتحديها له بوسائل حضارية مستظهرة وثيقة الحبوس المؤرخة في 1877/8/31 [43]، استعمل معها كروشار كل وسائل العنف والإرهاب وتعرضت إلى التهديد والمحاصرة ومنعت من الزيارات و اعتقل أنصارها[44].

ونظرا لهذه الظروف المأساوية التي عاشتها لالة زينب انخفض عملها التعليمي ليصل عدد المتعلمين إلى 60 متعلما وقلت أعمالها الهادفة للأمن الإنساني وإنما زادها المرض وتناقص عدد الزوار[45] بعدما كان عدد الزوار بين 7-8 ألاف زائر سنويا في بداية عهدها بالخلافة ، انخفض العدد وتأثرت الزاوية وتقهقرت

وتدمر أعيان الهامل من جراء تلك الوضعية التي مست الأمن الإنساني عامة[46]،خاصة بعدما هددها الحاكم العسكري في بوسعادة بتهديم الزاوية فلم يتوقف هذا الأخير عن غيه الا بعد زيارة ايزابيل ابيرهارد[47] للزاوية لمرتين سنة 1902 و 1903 وبكتاباتها الجريئة في جريدة الأخبار ففضحت الأمور أمام ما تعانيه لالة زينب من حصار .

لقد أبرزت هاته الكاتبة المبدعة دور لالة زينب في خدمة المحرومين وأصدرت لها صورة في جريدة الأخبار ورافقتها في حوارات منطوية على أفكار ورؤى وتصورات وكل ذلك أدهش الكثيرين وقاموا بزيارتها من استراليا وأوروبا وأمريكا للتعرف عن قرب عن هذه الشخصية العظيمة المكافحة من أجل العمل الإنساني، امرأة تحت الإقامة الجبرية تسير 100 زاوية وتأوي ألاف الطلبة والمعوزين والأرامل وحبوس ألاف الهكتارات والمواشي ولها امتدادات في مكة والمدينة كخادمة للحرمين الشريفين، فاستيقظ الرأي العام الفرنسي والعالمي ورفضوا تدمير الزاوية فسكت عنها حتى توفيت[48] .

وعلى العموم فرغم ما عانته من الحاكم العسكري لقطاع بوسعادة، وما عانته من وابن عمها ورغم صراعها مع المرض إلا أنها سارت على النهج الذي رسمه والدها لخدمة الأمن العام بل وكرسته، فوسعت الزاوية وحرصت على مساعدة الفقراء والمساكين وصرفت أموالا في التطوير الزراعي قصد الأمن الاقتصادي للمنطقة مع البذل للمحتاجين وزيادة الموارد المالية .

2.3.الشيخ محمد بن الحاج محمد و تكريس آليات الأمن الإنساني 1904–1913

ولئن سار الشيخ محمد بن الحاج محمد 1860-1913[49]، فبعد اتفاقه مع عمه مؤسس الزاوية وسار على سيرته في المسالمة للاستعمار وقد استفاد من مسالمته تلك في تكريس العمل الاجتماعي والتربوي بتجديد مساكن الطلبة بالزاوية بنفس الأبعاد التي رسمها عمه أو ابن عمه زينب [50].

3.3.الشيخ المختار يكرس آليات الأمن الإنساني 1913–1914

على نفس التقاليد الإنسانية التي رسمها الشيخ المؤسس لزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم وبدأ بتطبيقها، كرستها ابنته لالة زينب رغم ما صادفه من مصائب ومتاعب وواصلها ابن عمها سي محمد بن الحاج محمد .

فالشيخ المختار 1824م-1333هـ/1867م-1914[51]،ورغم أن العالم آنذاك كان يسير بخطى حثيثة نحو الحرب العالمية الأولى إلا أنه واصل تكريس آليات الأمن الاجتماعي والتعليمي بالزاوية دون

مقابل ، ولتوفير الأمن الاجتماعي والتربوي عمل على نشر الزوايا بالغرب الجزائري وبذلك زادت خدمات الزوايا القاسمية واستفاد من تلك الخدمات خلق كثير [52].

4. الشيخ أبو القاسم بن محمد يكرس آليات الأمن الإنساني 1914–1928

لا يمكننا أن نأخذ أعمال زاوية الهامل الاجتماعية ببعدها الإنساني دون أن نتوقف عند محطة هامة وهي محطة الشيخ أبو القاسم بن محمد القاسمي 1290–1346هـ/1883 –1928م [53]، الذي اقتفى إثر من سبقوه من مشايخ الزاوية القاسمية في بث العلم والإرشاد والتوجيه والإحسان للعلماء والرأفة بالفقراء[54].

ففي ظل الحكم الاستعماري وسياسته تجاه الثقافة والاقتصاد والدين وما نتج عن كل ذلك من جوع وتشرد [55]واصل الشيخ أبو القاسم من خلال زاويته إبراز دورها الاجتماعي على شكل مواجهة اجتماعية لتوفير الأمن الاجتماعي للسكان، خاصة في الفترة الممتدة بين 1919–1939، كانت أكثر أمراضا وأوبئة ومجاعات على الشعب الجزائري المحتل، فحسب التقارير الفرنسية نجد أنه في سنة 1920 حدثت مجاعة حادة أدت إلى وفاة المئات وتدخلت زاوية الهامل كعادتها وتكفلت بالعشرات من أفراد القبائل المجاورة وحتى البعيدة ، حيث نجد أناسا من عين بوسيف وقصر الشلالة قد قصدوا الزاوية فأصبحت مأوى لهم .

وفي سنة 1920م–1338هـ، أصابت الجزائر شدة عظيمة وغلاءا مفرطا فهلكت فيه الأنفس والأموال فكفل الشيخ أبو القاسم منكوبي ناحية الجلفة وبوسعادة والشلالة وعين بوسيف والمسيلة وسيدي عيسي أي ما يزيد عن المائتين من العائلات زيادة عن المجردين من الأهالي وانفق عليهم في طعامهم وكسوتهم ما يزيد عن ربع مليون من الفرنكات وبقوا تحت كنف الزاوية القاسمية إلى أن زالت تلك المجاعة وكشف الله تلك الشدة الدهماء عن عباده وبلاده[56].

وما جاء في أحد التقارير الأمنية أن شيخ الزاوية المعنية بالدراسة آنذاك"كريم جدا في المجاعة التي وقعت سنة 1920، فقد استقبل أكثر من عشرين ألف من المشردين والفقراء[57]"، وبذلك أنقذت الزاوية الأرواح من الموت المؤكد .

- لقد احتضنت زاوية الهامل آنذاك سكان الحضنة والوسط حتى تيارت و أولاد نايل ونفس العمل قامت به الزوايا الأخرى وتحولت زاوية الهامل إلى ملجأ للفقراء واليتامى والمشردين ومحطة لعابري السبيل والرافضين لسلطة الاستعمار وقوانينه وملاذا للتائهين و مخبئا للفارين وبذلك حافظت على كرامة المواطنين وصانتهم

وانتشلتهم من أيادي المبشرين[58]، وفي رأيي تلك المواجهة الحقيقية التي لا تقل قيمة عن المواجهة بالسلاح بل هي قمة الأمن الإنساني.

5. الخاتمة:

عمل الاستعمار الفرنسي بسياسته في الجزائر على تحطيم الأمن الإنساني في كل المجالات بمنطقة الهامل وضواحيها، الأمر الذي دفع الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى تأسيس زاويته لتحقيق ذلك الأمن بالمنطقة.

ومن خلال زاويته تلك، وضع آليات لتحقيق الأمن الروحي والنفسي والثقافي والإنساني وبذلك يكون الشيخ قد أرسى قواعد العمل الإنساني بالمنطقة، و رغم سياسة فرنسا الاستعمارية والظروف العامة التي عاشها خلفاؤه إلا أنهم ساروا جميعا على ما سار عليه الشيخ المؤسس وعملوا على تكريس آليات الأمن العام التي بدأها الشيخ المؤسس ونجحوا إلى حد بعيد.

فبالتربية الروحية تمكنوا من توفير الأمن الروحي والنفسي وبالعملية التعليمية تمكنوا من توفير الأمن الثقافي وبالتكافل الاجتماعي تمكنوا من توفير الأمن الاجتماعي وبالاعتماد على الوقف وتوثيقه ووقفه وكذا استثماره لأجل تنمية مستدامة تمكنوا من توفير الأمن الاقتصادي والثقافي والاجتماعي معا.

بتلك الآليات استطاع الشيخ المؤسس لزاوية الهامل وخلفاؤه من توفير الأمن الإنساني العام بالمنطقة وأنقذوا ما يمكن إنقاذه.

6.الهوامش:

[1] محمود بوكسيبة، سلسلة دراسات ومحاضرات حول الزاوية القاسمية ، ج1، ص11.

[2]الحاج مزاري، بوسعادة في القرن19م -1848-1900-، مخطوط غير مرقم ، ص ص 8-9

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، دار الغرب الاسلامي، لبنان ،1998، ص 218-219.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث في تاريخ الجزائر،ج1، م و ك الجزائر، ص26.

[5] ولد محمد بن أبي القاسم سنة 1239هـ-1829م ببلدية الحامدية بالجلفة وينتهي نسبه إلى العطرة النبوية الطاهرة، عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،1993، ص335 .

[6]محمود بوكسيبة، المنظومة التربوية بزوايا الطريقة الرحمانية زاوية الهامل أنموذجا، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،2006، ص96.

[7]محمود بوكسيبة، المرجع نفسه، ص.96.

[8]المرجع نفسه، ص97.

[9]أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،ص218-219.

[10] محمود بوكسيبة، الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي بالجزائر1830-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2014، ص111.

[11] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وتورثها المباركة ، مطبعة النهضة التعاونية،1964،ص64.

[12]عبد القادر فوضيل، المنهج التربوي المؤسسة الدينية وسبل تطويره، مداخلة في الملتقى الوطني ""التربية الروحية بزاوية الهامل" يوم 2006/11/08.

[13] إسماعيل الغربي ، الدراسات العربية في الجزائر،م و ك، الجزائر، 1986،ص ص 76-77.

[14]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ص32

[15] Charles de Gallond ;excursion de Msila à Boussaada OLLENDOR .Paris 1899 ;p69

[16] AOM 16H61.Notice nécrologique sur Si Mohamed Ben Belgacem.26-06-1897 .

[17]وفاء بن علية، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة التحريرية، مخطوط رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة، الجزائر،2007،ص117.

[18]ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ط1، ص398.

[19]يحي بوعزيز، ثورة 1871 ودور عائلة المقراني والحداد ، ش و ن ت ، الجزائر،1978،ص270

[20] خميسي السعدي، بوسعادة في العهد الاستعماري، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2016، ص172

[21] AOM ;16H61 ; Demande de remise de peine en faveur d'un detenu.Mai1892 par le marabout d'EL HAMEL.

[22] المهدي البوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة ، ع8،1972، ص314.

[23] L'abbé burzet. Histoire des désastres de l'Algérie 1866-1868 .Alger.p58-65.

[24] أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر،د م ج ، الجزائر،1984،ص 210-211

[25] Fontaine P ;Boussaada porte du desert.devery.1951.p114

[26] Goldene Helense.une femme dans le Sahara New york stocks 1914-p77.

[27] ولدت لالة زينب بقرية الهامل 1286هـ-1329هـ/1857-1904م قبل انتقال والدها الى زاوية اولاد جلال وتولت أمر الزاوية بعد وفاته سنة 1897 وتوفيت سنة 1904 بعدما أنهكها المرض، أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،ص 164.

[28]محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم،ط1، المطبعة الرسمية تونس،1308هـ، ص19.

[29]مقابلة الشيخ المأمون القاسمي، شيخ زاوية الهامل و أحد طلبتها السابقين، مقابلة شخصية بزاوية الهامل،2006/10/26.

[30] مقابلة خاصة مع الشيخ المأمون القاسمي، المرجع السابق.

[31] مقابلة خاصة مع : الشيخ الزواوي أحد تلاميذ الزاوية السابقين، نائب برلماني سابق، ومن أعيان زاوية الهامل، مقابلة شخصية بزاوية الهامل يوم 21-04-2006.

[32]مقابلة خاصة مع الشيخ الزواوي.

[33]عبد الله سليمان، شرح قانون العقوبات،ج1، دار الهدى، الجزائر،ص43

[34] Archi-Département d'Alger ;serie H .Gouvernement général ;carton 16H8 et 16H73

[35] Youcef Nacib ;cultures oasiennes ,Boussaada,ENAL. Alger.1986.p252

[36] Ibid

[37] Charles de Gallond.Opcit .p276

[38] Ibid.

[39] AOM.16H16 Correspondance de Lalla Zineb avec quelque personnalité

[40] De Gallond.opcit.p08

[41]شارل دوقالون 1851-1923 زار الزاوية خلال زياراته إلى المسيلة وبوسعادة ودامت زيارته حوالي سنتين .

[42] بول اودال1837-1899 زار الزاوية في ربيع 1899 ولم تستمر سوى ساعات قليلة .

[43] Smith and Julia clancy.Rebel and saint muslim notable.populish .protest colonial en counters Algérie and Tunisie .berkley university.0997.p253

[44] ANOM 16H16 .correspondance de Lella zineb avec quelques personnalités

[45] 16H8 Rapport résumant.

[46] 2H22 Correspondance au cdt sup du cercle de Boussaada.19 février 1898

[47]ايزابيل ابيرهارد كاتبة مبدعة ولدت في 1877 توفيت في 1904، زارت زاوية الهامل وفضحت مأساة ومعاناة لالة زينب .

[48] جمال غلاب، ظلال من الجزائر،ص61.

[49] الشيخ محمد بن الحاج محمد 1860-1913 تولى أمر الزاوية خلفا لابنة عمه زينب التي توفيت سنة 1904، وقد عرف بعلمه وأشهر ما كتب هو كتابه "الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن ابي القاسم" ينظر : محمد علي دبوز : نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، مكتبة النهضة التعاونية،1964،ص80/1

[50]عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد1862-1962، دار الخيل للنشر والتوزيع،2010، ص312.

[51]تعلم بزاوية أبائه وبها حفظ القران واخذ العلم عن الشيخ المؤسس وكان له دور كبير في نشر الزوايا والطريقة بالغرب الجزائري، توفي في 1915، ينظر : عبد المنعم القاسمي ، المرجع السابق،ص111.

[52]المرجع نفسه.

[53]عرف بزهده وانصب للتعلم ابتداء من سنة وفاة الشيخ المؤسس إلى أن لقي ربه .ينظر : عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص323.

[54] Marth and Edont.Gavion :Ayane EL Maghariba.p207

[55]محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر1830-1904،ط1،دار دحلب، الجزائر، ص81

[56] Marth et Edmond Gauvion :Ayane El Maghriba

[57] Rapport Autorité Française .1952.Zaouia d'ELhamel.N N

[58]علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر1925-1940، ترجمة محمد يحياتن، ط3،دار الحكمة الجزائر،1999، ص76.

7. المراجع:

I. المصادر باللغة الفرنسية:

1- AOM 16H61.Notice nécrologique sur Si Mohamed Ben Belgacem.26-06-1897

2- AOM16H61 ; Demande de remise de peine en faveur d'un detenu.Mai1892 par le marabout d'EL HAMEL

3- Archi-Département d'Alger ; série H.Gouvernement général ;carton 16H8 et 16H73

4- AOM.16H16 Correspondance de Lalla Zineb avec quelques personnalités

5- 16H8. Rapport résumant les faits intéressants 2ém semestre 1897.

6- 2H22 .Correspondance du cdt. sep du cercle de Boussaada.19 février 1898

II. المخطوطات

- مزاري الحاج ، بوسعادة في القرن19م -1848-1900-، مخطوط غير مرقم .

- بوكسيبة محمود، سلسلة دراسات ومحاضرات حول الزاوية القاسمية ، ج1،ج2،ج3،ج4، غير منشور.

III. المراجع باللغة العربية

- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3،دار الغرب الإسلامي، لبنان ،1998
- سعد الله ابو القاسم ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر،ج1،م و ك الجزائر
- دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، مطبعة النهضة التعاونية،1964
- الغربي إسماعيل ، الدراسات العربية في الجزائر،م و ك، الجزائر، 1986
- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية،ط1، دار الغرب الإسلامي،1998
- نوشي أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر،د م ج ، الجزائر،1984
- محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن بلقاسم،ط1، المطبعة الرسمية تونس،1308هـ
- سليمان عبد الله ، شرح قانون العقوبات،ج1، دار الهدى، الجزائر
- غلاب جمال، ضلال من الجزائر،الجزائر
- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر1925-1940، ترجمة محمد يحياتن، ط3، دار الحكمة الجزائر،1999
- وعلي محمد الطاهر ، التعليم التبشيري في الجزائر1830-1904،ط1،دار دحلب، الجزائر.
- القاسمي الحسني عبد المنعم ، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد1862-1962، دار الخيل للنشر والتوزيع،2010
- بوعزيز يحي، ثورة 1871ودور عائلة المقراني والحداد ، ش و ن ت ، الجزائر،1978

IV. المراجع باللغة الفرنسية

- Burzet L'abbé. Histoire des désastres d'Algérie 1866-1868 .Alger
- Pierre Fontaine ;Boussaada porte du désert .devery.1951
- Helense Goldene.une femme dans le Sahara New york stocks. 1914.
- Nacib Youcef. cultures oasiennes, Boussaada,ENAL.Alger.1986
- de Gallond Charles ; excursion de Msila à Boussaada

OLLENDOR .Paris. 1899

1- القواميس والموسوعات

- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان،1993
- Gauvion Marth et Edont. :Ayane EL Maghariba

2- الأطروحات والرسائل الجامعية

– بوكسيبة محمود، المنظومة التربوية بزوايا الطريقة الرحمانية زاوية الهامل أنموذجا، مخطوط رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،2006

– بوكسيبة محمود، الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي بالجزائر1830-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2014

– بن علية وفاء ، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة التحريرية، مخطوط رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة، الجزائر،2007

– السعدي خميسي، بوسعادة في العهد الاستعماري، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2016

3- المقابلات :

- الشيخ الزواوي: أحد تلاميذ الزاوية السابقين، برلماني سابق، من أعيان مدينة الهامل،21-04-2006.

- الشيخ المأمون القاسمي، تلميذ سابق بالزاوية، شيخ زاوية الهامل الحالي، 26-10-2006

4- المداخلات والمقالات:

أ- باللغة العربية

- فوضيل عبد القادر، المنهج التربوي المؤسسة الدينية وسبل تطويره، مداخلة في الملتقى الوطني ""التربية الروحية بزاوية الهامل" يوم 2006/11/08

- البوعبدلي المهدي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الأصالة ،ع 8،1972.

ب– باللغة الفرنسية:

- Smith and Julia clancy.Rebel and saint muslim notable.populish .protest colonial en counters Algérie and Tunisie .berkley university.1997